غرافيتيا مدينة بجاية –ممارسة لغويّة توعويّة–

Bejaia city's Graphity – linguistic and awareness Practice

أ. سيهام بوطغان♥

أ. خولة طالب الإبراهيمي♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: 10.33705/0114-026-067-012 DOI

تاريخ الاستلام: 16-12-2023 تاريخ القبــول: 08-07-2024

ملخّص: تتنوّع الأشكال التّواصليّة للمتكلّم الجزائري بين لغويّة وغير لغويّة مثلما تتعدّد القنوات النّاقلة لممارساته، بما في ذلك جدران الشّوارع التي تلعب دورًا هامًا في التّعبير عن واقع الفرد والمجتمع على حدّ سواء. يروم البحث تحليل عيّنة من الكتابات الجداريّة في مدينة بجاية، لِاستنطاق مضامينها وكشف غاياتها، ومدى اِسهامها في توعيّة المجتمع. من خلال الإجابة على الإشكاليّة التّاليّة: إلى أيّ مدى تسهم الغرافيتي في توعيّة المجتمع البجائي؟

♥مخبر الدّراسات والبحوث الإفراديّة والمعجميّة جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2 الجزائر، البريد الإلكتروني: siham.boutaghane@univ-alger2.dz (المؤلّف المرسل).

♥جامعة أبو القاسم سعد الله –الجزائر 2، الجزائر، البريد الإلكتروني: khaoula.taleb.ibrahimi@univ-alger2.dz

وفي الختام توصّلنا إلى نتائج أهمّها: أنّ الكتابات الجداريّة تؤثّر على القيم الاِجتماعيّة السّائدة في المجتمع، وهي ظاهرة لغويّة اِجتماعيّة تمتدّ لأبعاد عديدة، كما تسهم في تسريع انتشار بعض المفاهيم كالاِجتماعيّة، السّياسيّة الثّقافيّة...

كلمات مفتاحيّة: الفضاء العام؛ مدينة بجاية؛ الكتابات الجداريّة؛ التّوعيّة؛ التّعدد اللّغويّ.

Abstract: The communicative forms of the Algerian speaker vary between linguistic and non-linguistic, as do the transporting channels convey its practices, including street walls that play an important role in expressing the reality of the individual and society alike. The research aims to analyze a sample of murals in the city of Bejaia to explore the scope of their contents and reveal their objectives and its contribution to raising society's awareness by answering the following problems: to what extent do the murals contribute to raising the community's awareness?

in the end, we reached a set of results, the most important of which is that Murals influence social values prevailing in society, It's a social linguistic phenomenon spanning many dimensions, It also contributes to accelerating the spread of certain concepts such as social, political, cultural…

Keywords: Public Space; Bejaia City; Graphity; Awareness; Multilingualism.

1. مقدّمة: لقد كان الانسان وما زال في سعي مستمرّ لِابتكار سُبُل ووسائل تُمكِّنه من التّعبير عمّا يعيشه وما يحيط به في مختلف مراحل حياته وقد وجد ضالتّه –في وقت مضى–في الرّسم والنّقش، فترْجَم من خلالها تفاصيل حياته وبيئته، لكنّه ما فتئ أن لجأ إلى الخطّ والكتابة –بعد ظهورهما–

واستعان بهما للغاية ذاتها، ومُذَّاك فضّل التّواصل اللغوي على سائر الأنماط التّواصليّة الأخرى، لما له من قدرة على تجسيد واقعه وذاته الفرديّة والاِجتماعيّة على حدّ سواء.

من الظّواهر الأكثر اِنتشارًا في عصرنا هذا، "ظاهرة الكتابات الجداريّة أو ما يُعرف بـ "الغرافيتي"، التي تعتبر ممارسة شبانيّة وأسلوب تعبير حرّ بامتياز يحظى بإقبال كبير من قِبل مختلف شرائح المجتمع، وهذا يظهر جليًّا في تعدّد أشكاله الحديثة وألوانه المتناسبة مع السّياقات المتعدّدة وحتّى المضامين التي يطرحها، خاصّة تلك المتعلّقة بالشّباب واِهتماماته ومشاكله.

تتميّز الكتابات الجداريّة بالسّلاسة والبساطة، تمنح صاحبها مجالًا حرًا لمخاطبة عامّة النّاس بدون وسيط ولا تكلفة، كما تطرح مشاكله العامّة والخاصّة أملاً في إيجاد حلول لها. تتنوّع مضامين هذه الكتابات وغاياتها بحسب ممارسِيها وموضوعاتها، هذا الطّرح يقودنا إلى اِعتبار الغرافيتي شكلاً من أشكال التّفاعل الاجتماعي ذو جانب إيجابي، يسهم في توجيه الرّأي العام وتوعيّة الفرد والمجتمع، ولفت انتباههم حول القضايا التي تعتبر من المبادئ الأساسيّة التي ينبني عليها أيّ مجتمع، هذا ما سنحاول التّطرق إليه في هذه المقالة من خلال الإجابة على الإشكاليّة الآتيّة: ما مدى فعاليّة الكتابات الجداريّة في توعيّة أفراد المجتمع في مدينة بجاية؟

تروم الدّراسة البحث في ظاهرة الكتابات على الجدران في الوسط الجزائري عامّة وفي مدينة بجاية على وجه التّحديد، بتقصّي البعد اللغوي والتّوعوي فيها؛ باعتبارها تمتدُّ لأبعاد عديدة منها: الاجتماعي، الثّقافي، الهوياتي وغيرها.

اِنطلق البحث من فرضيّة مفادها أنّ الكتابات الجداريّة تعبّر عن بُعْدٍ لغويّ وتوْعويّ، وعليه اِرتأينا تتبّع هذه الظّاهرة بضاحيّة بجاية في جانبيها الاِجتماعي

واللغويّ وحتّى الثّقافي، للبحث في علاقتها بالمجتمع وتوجيهه وتوعيته، ولبلوغ هدفنا هذا اِستعننا بما يمليه المنهج الوصفي، باعتباره الملائم لوصف هذه المُمارسات وتتبّعها ورصد أهمّ سماتها والكشف عن دورها داخل المجتمع، وقبل هذا اِعتمدنا طريقة الملاحظة المباشرة للظاهرة في مكانها الأصلي، كذلك اِنتقينا عيّنة الدّراسة آنيا –وقد جمعنا حوالي 50 صورة باستعمال كاميرا الهاتف النّقال–، لننتقل بعدها إلى تحليلها حسب منهج تحليل المحتوى، لتمييز مضامين هذه الأخيرة وأهدافها.

ملاحظة: (تجدر الإشارة إلى أنّنا تعاملنا مع الكتابات الجداريّة بكلّ أمانة حيث نقلناها كما هي مدوّنة على الجدران بأخطائها اللغويّة والإملائيّة).

2. مدينة بجاية –كفضاء للدّراسة: تشغل دراستنا هذه حيزًا مكانيًا يتمثّل في مدينة بجاية، باعتبارها وسطًا حضاريًا تجتمع فيه عدّة ثقافات وديانات، يعتبرها البعض أعرق مدينة في المغرب العربي بفعل تعاقب الحضارات عليها، حيث يشير عبد "الحليم عويس" في هذا الصّدد بقوله: إنّ "المكان الذي تقع فيه بجاية (كان) موقعًا لمدينة أسّسها الفينيقيون تُعرف باسم "صلدة" ثمّ انتقلت إلى الرّومانيّين وعُرفت باسم (saldaea) صلداي، ثمّ خُرِّبت بعد ذلك ولم يُعرف تاريخ اِندثارها، ولكن الشّيء الثّابت أنّها كانت من أهمّ مدن نوميديا، وقد أقام بها الإمبراطور "أوغست" جاليّة رومانيّة..."[1] (بن عميرة وبن عميرة، 2015) ما يعني أنّ المؤرّخين لم يتّفقوا حول تاريخ هذه المدينة، وهذا يظهر جليًا في تعدّد تسمياتها، فصلداي في عهد الرّومان، ثمّ عُرفت بالنّاصريّة في عهد الحماديّين، ثمّ بجاية بعد الفتوحات الإسلاميّة.

3. تعريف الكتابات الجداريّة وممارسوها: تشير كلمة (Graffiti) في معاجم اللّغة المزدوجة، إلى أيّ "نقش أثريّ/ رسوم على الجدران، و (Graffiter)

تعني نَقَشَ (الجدران)، و(Graffiteur/euse) تعني نقّاش"[2] (Bureau Des Etudes Et Recherches, 2004)، وهذه الكلمة (Graffiti) مأخوذة من "الكلمة الإيطاليّة (Sgraffito) أو(Sgraffite) التي تعني خدش"[3]، (Ernest, 2015)، ومنه نفهم أنّ هذا المصطلح يشير إلى كلّ ممارسة كتابيّة على الجدران مهما كان شكلها أو نوعها فيكفي أن تتواجد على الحائط لتسمّى (Graffiti)، اِرتبطت في بداياتها بالمدينة باعتبارها فضاء للتّواصل والتّقاء الثّقافات، ثم اِنتشرت لتغزو كل الجدران العامّة منها والخاصّة في القرى والأرياف وغيرها.

لفتت هذه الظّاهرة أنظار العلماء والمتخصّصين من علم النّفس والاجتماع والأنثروبولوجيا فعمدوا إلى دراستها وسبر أغوارها، والبحث في أسباب ظهورها وانتشارها، من منطلق أنّها ممارسة فرديّة وجماعيّة تولّدت من رحم المجتمع وأوضاعه، يعرّفها "أندرسون" أنّها "ظاهرة عامّة تشمل المجتمع الإنساني كافّة وأنّ كلّ مدينة عبر تاريخ الحضارات قد صنعت أمجادها ودوّنت علاماتها وكتبتْ ورسمتْ على الجدران ثقافةً كانت سائدةً حينذاك سواء لأفراد أو لجماعات"[4] (عامر، 2020)، والشّيء ذاته أكّده "ريسنر" "Reisner" في اعتباره الجدران بمثابة "الباروميتر لطبيعة التّغيرات الاِجتماعيّة التي تفرض نفسها، وتحتلّ تفكير العامّة من المجتمع، حيث تخبرنا الكتابة الجداريّة عمّا يحصل في مدننا وقُرَانا وأحيائنا"[5] (العتوم وأبنيان، 2019)، ومنه فالكتابات الجداريّة بطاقة تعريفيّة لأيّ فضاء كان، تروي حكاية المكان الذي تواجدت فيه وتُعرّف المارة والزّوار بأوضاع المجتمعات وثقافتهم وهويّة أفرادهم، كما تعكس واقعهم ونمط حياتهم.

أمّا عن ممارسي الغرافيتي فهُم مثلما يرى الدّكتور "مصطفى حجازي": "الشّريحة المقهورة التي لم تنل من المجتمع إلّا الفتات، تلك الشّريحة ولأسباب ما ترى نفسها مهمّشة بطريقة مقصودة من قِبل السّلطات وحتى عامّة النّاس"[6] (عامر، 2020)، فهذه الممارسات لم تنبعث من العدم إنّما هي نتاج وضع كارثي دفع بالشّاب الجزائري للجوء إلى الجدار، فالمغرفت يجسّد شخصيّة الفرد الفاقد للسبل، الهارب من الحياة، الباحث عن ملاذ ينجيه، هذا الذي يظهر في مضامينها وأهدافها العميقة.

1.2.2 تاريخ ظهور الكتابات الجداريّة: ظهرت الكتابات الجداريّة _بمفهومها التّقليدي_ قديما مع الانسان البدائي على شكل رسوم ونقوش تحاكي نمط عيشه وتعكس طبيعة وسطه، أمّا غرافيتي العصر الحديث فظهر في أمريكا "أواخر السّتينات أوائل السّبعينات على يد شباب من أصول إفريقيّة وإسپانيّة، تتراوح أعمارهم ما بين 12 سنة إلى 24 سنة، يتركون بصماتهم وآراءهم على جدران مدينة نيويورك"[7] (Ousedik, 2008)، ومنها عرَفَ اِنتشارًا سريعًا ليغزو كافّة البلدان الغربيّة، خاصّة بعدما اِرتبط بثقافتي الهيب هوب (Hip Hop) والرّاب (Rap) الشّعبيتين.

كذلك عرفت الجدران الجزائريّة هذه الظّاهرة فترة الاحتلال الفرنسي وبالضّبط "مع تشَكُّل الحِراك الوطني الرّافض للوجود الإستدماري باختلاف توجّهاته عبر العديد من المُدن الجزائريّة خاصّة الكبرى منها (العاصمة، وهران، قسنطينة تلمسان)"[8] (باي، 2012)؛ من أجل حثّ المواطن على التّخلي عن النّضال السّلمي والانتقال إلى المسلّح كحلّ فعلي لمواجهة الاستعمار، كذلك كان الجدار الوسيلة التي نقلتْ صوت الشّعب ومطالبه للسلطات والمواطنين على حدّ سواء كما عرّفتْ بالأوضاع والحقائق المعاشة في ظلّ تلك الفترة.

غابت هذه الظّاهرة بعد الإستقلال، لكن سرعان ما عادت مع تأزّم الأوضاع السّياسة والاقتصاديّة والاجتماعيّة خاصّة مع "الأحداث المأساويّة التي وقعت خلال العشرين سنة الماضيّة في الجزائر منها (أحداث أكتوبر 1988، العشريّة السّوداء، فيضانات باب الواد 2001، أحداث منطقة القبائل 2001 (الرّبيع الأسود) وزلزال بومرداس 2003) وكلّ المشاكل اليوميّة التي لا حصر لها والتي يُعاني منها الشّباب والمجتمع عموما "[9] (Ouras, 2009)؛ أحداثٌ وغيرها فجّرت الجدران العامّة منها والخاصّة وأزاحت عقدة التّعبير عن المواطن الجزائري في ظلّ صمت الإعلام بقنواته وتغييبه لصوت الحقيقة، حتى غدت الجدران إعلاما بديلا منبعثا من صميم أعماق المجتمع ومترجمًا لواقعه.

عادت هذه الظّاهرة للانتشار أكثر في الآونة الأخيرة بشكل واعٍ ومنظّم مع ظهور الحراك الشّعبي السّلمي*، الذي منح هذه الأخيرة فرصة الانتشار أكثر وسط المجتمع واكتساب شعبيّة أكبر.

4.الكتابات الجداريّة والممارسات التّوعويّة في مدينة بجاية: ليست التّوعيّة حكرًا على الإعلام بقنواته الفضائيّة وحسب، ولا على مواقع التّواصل الاجتماعي بأشكاله، إنّما هي مسؤوليّة تقع على عائق الفرد والمجتمع، لا تحتكم لطريقة أو أداة معيّنة، فأيّ فعل أو سلوك هادف إلى نشر رسالة حول موضوع أو قضيّة ما أو التّثقيف حول جزئيّاته يُمكن القول عنه إنّه فعل توعوي، وهذا ما ينطبق على ظاهرة الكتابات الجداريّة التي تلعب دورًا مهمًّا في التّرويج للقضايا الاِجتماعيّة وتوجيه الرّأي العامّ. (ونقصد هنا الكتابات الهادفة وليس الخربشات التّخريبيّة التي لا طائل منها غير تشويه الفضاءات).

غدت ظاهرة الكتابة على الجدران بفعل انتشارها وإقبال الشّباب عليها قناة إعلانيّة إعلاميّة، ووسيلة تَخاطُب وتفاعل جماهيريّة؛ تسمح بتوجيه المواطنين

وإقناعهم من خلال وضعهم أمام الأمر الواقع، كما تكشف العاهات التي يُعاني منها الفضاء الحضري. هذا الفضاء الذي تشهد جدرانه عدّة مواضيع أهمّها ما يتعلّق بالطّرح المقصود للنفايات، باعتبارها المشكلة الجوهريّة التي تُعاني منها المدينة بسبب اللاوعي واللامسؤوليّة في تعامل الإنسان مع البيئة والمساحات العامّة.

1.4 موضوع التّوعيّة البيئيّة: ليست البيئة مجرّد وسط يعيش فيه الكائن الحي وحسب إنّما تشكّل مجموع الظّروف والعوامل التي تساعده على بقائه حيث يتفاعل الإنسان مؤثّرا أو متأثّرًا مع مكوّنات هذا الوسط، ويبدو أنّ تعامل الإنسان مع مكوّنات البيئة الطّبيعيّة أضحى سلبيًا، وأفضل دليل على ذلك المنظر المشوّه الذي تظهر عليه شوارع المدن وأحيائها.

يغلُب موضوع البيئة على مدوّنتنا بالأخصّ ما يتعلّق بالنّفايات والقمامة وهذا راجع إلى ما تعانيه ولاية بجاية من تخريبٍ للفضاءات جرّاء رمي المخلّفات المنزليّة بشكلٍ فوضوي في مختلف الأماكن عامّة كانت أو خاصّة، وما نجَم عن ذلك من أخطار على البيئة والصّحة على حدّ سواء، هذا الموضوع الذي لربما لم يحصل على تغطيّة إعلاميّة أو مناقشة فعليّة على طاولة المسؤولين ما دفع بالمواطن البجائي للّجوء إلى جدران الشّوارع لعرض هذه القضيّة، مثل ما تُوضّحه الصّور الآتيّة:

تهدف هذه الصّور إلى حثّ المواطن على تفادي الرّمي العشوائي لمخلّفاته وتوجيهه إلى الأماكن المخصّصة للتفريغ، مستعملًا في ذلك مختلف القوالب

اللّغويّة المتاحة عنده في رصيده اللغوي من لغة عربيّة بشقيها وفرنسيّة وأمازيغيّة وغيرها (مثل ما تبيّنه الصّور أعلاه).

وفي السّياق ذاته نجد كتابات منددّة بالرّمي العشوائي خاصّة لمادّة الخبز مثل عبارة: "**لا للخبز**"، و"**ممنوع رمي الخبز من فضلكم (svp depose pas vos restes de pain) من فضلكم لا ترمو فضلاتكم من الخبز**" وغيرها.

إلى جانب هذه الظّاهرة، لفت اِنتباهنا بروز ظاهرة الرّكْن العشوائي لوسائل النّقل وذلك أمام المنازل وأماكن العمل وحتى على الرّصيف، ما انجرّ عنه ظهور مشكلات عدّة عرقلت أشغال المواطن وحرَمتْه من اِستغلال هذه المساحات، إذ سجّلنا عددًا معتبرًا من كتابات مماثلة لعبارات (**stationnement interdit**) و"**interdit de stationné svp**"...

تأسيسًا على السّابق نستنتج أنّ هذه الكتابات وإن اِختلفت في طبيعة شكلها وطريقة صياغتها، إلّا أنّها تندرج ضمن موضوع واحد يتمثّل في الدّعوة إلى المحافظة على المحيط والبيئة، وذلك للفت انتباه المواطن إلى هذه القضايا وأهمّيتها، مع السّعي إلى إيجاد حلول للحدّ من أضرارها الآنيّة وأخطارها المستقبليّة ولتفادي الأوبئة التي قد تنجم عنها، وهذا ما تعبّر عنه كتابة: "**حمار لي يرمي الأوساخ حذاري من الكوليرا**".

ولأنّ البيئة مسؤوليّة الجميع، وجدنا عدّة كتابات تدعو إلى التّحضّر والتّحلّي بالأخلاق الحميدة، مثل عبارات: "**كونو عقلاء**"، "**كونو متخلقين**"، **حماية البيئة بين أيدينا**"، ومن اللّغة الفرنسيّة نجد (**bougie Rallumer notre**)، من مبدأ أنّ نظافة المدينة تعكس مباشرة نظافة المجتمع ووعيه، والتّغيير يحتاج وعيا وفردا مسؤولا، هذا ما تسعى الجداريات إلى إبرازه من منطلق أنّ المواطن

المسؤول الوحيد عن الوضع الكارثي الذي التّ إليه ولاية بجاية، ليأتي دور المسؤولين للحفاظ عليها بالسّياسة والهيكلة والمشاريع التّنمويّة...إلخ

2.4 موضوع التّوعيّة السّياسيّة: نقلت جدران الشّوارع في مدينة بجاية مشهدًا سياسيًا لافتًا، حيث عرضت مختلف الأحداث السّياسيّة التي تعيشها الجزائر بشكل عامّ وولاية بجاية بشكل خاصّ، خاصّة بعد الثّورة الشّعبيّة التي أحدثها المجتمع الجزائري (الحراك)، فانتشرت كتابات كثيرة تهدف إلى إيقاظ الوعي السّياسي للمواطن الجزائري، والتي تسهم في حثّه على اِحداث قطيعة مع النّظام وشخصياته، وذلك برفض المشاركة في أيّ نشاط يخصّ هذا النّظام. ولعلّ أوّل ما يربط الشّعب بالسّلطة؛ الإنتخابات، هذا ما تثبته كثرة العبارات والكتابات المتعدّدة اللّغة والدّاعيّة إلى رفض الانتخاب مثل ما تبيّنه الصّور الآتيّة:

بالإضافة إلى عدّة كتابات أخرى لا تخرج عن السّياق نفسه مثل: "**لا للانتخابات**"، "**مكانش انتخابات مع العصابات**"، (**le boycot est un devoir pas de vote**)، "**يا المروكي مكانش عهدة 5**"...

نلاحظ من خلال هذه الكتابات أنّها تتّفق في هدفها وإن اِختلفت في قالبها اللغوي، فكلّها تدعو إلى مقاطعة الإنتخابات وعدم التّصويت، مع تحديد الشّخصيّة المتّفق على معارضتها والمتمثّلة في شخصيّة الرّئيس السّابق –رحمه الله–السّيد عبد العزيز بوتفليقة، هذا الرّئيس الذي يُكنّى بالمغربي (المروكي) الذي يمثّل كلّ هيئة النّظام والسّلطة في البلاد والوحيد المعني بالعهدة الخامسة

لذلك عُدّ هدفًا رئيسيًا للثورة، حيث كانت البداية هي الإطاحة بنظامه ثمّ الإنتقال إلى باقي رموزه.

ولأنّ الثّورة تحتاج عزما وصمودا، انتشرت من جهة أخرى شعارات تحفيزيّة تدعو إلى الصّبر والصّمود، منها ما جاءت بالأمازيغيّة مثل: (**Anarez wala aneknu oulach l'vote**) بمعنى "ننكسر على أن ننحني لا للانتخابات" وبالعاميّة نحو: "**ماتخلعوناش بالعشريّة حنا كبرنا فالميزيريّة**" ومنها ما جاءت بدمج اللّغة العربيّة الفصحى مع الأمازيغيّة مثل: "**الثّورة فكرة والفكرة لا تموت لا للعهدة5 (Assirem)**، هذه التّعبئة الإعلاميّة الافتراضيّة أسهمت في توحيد صفوف المواطنين للثبات على مبدأ الموقف الواحد الذي لا رجعة عنه والمتمثّل في النّضال إلى حين اِسترجاع السّيادة الشّعبيّة، وهذا ما عبّرت عنه هذه الجداريات: "**الجزائر جمهوريّة ليست مملكة**"، "**Un seul héros le peuple**)"، و "**نحن لسنا عبيد يا دولة**"، وغيرها من الجداريات التي خلّدت الثّورة ووجّهتْ الرّأي العام مُعبّرة عن موقف الشّعب كلّه بلغات عدّة.

3.4 موضوع التّوعيّة الدّينيّة: لاحظنا –من ناحيّة أخرى–انتشارًا معتبرًا لعدد من الكتابات الدّينيّة خاصّة ما يتعلّق بموضوع الصّلاة وأذكارها، مثل عبارة: "**لا حياة بدون الصّلاة**" في إشارة لأهميّة الصّلاة في حياة الفرد، ومنها ما تطرّق إلى بعض الآداب والأحكام الفقهيّة والدّينيّة، التي أهملها المجتمع وتجاوزها –نوعا ما– بالرّغم من علمه بها منها ما تبيّنه الصّور الآتيّة:

تهدف هذه الكتابات إلى تذكير المواطنين والمارة ببعض الأذكار والآداب التي تعتبر من أبسط الأمور التي لا تحتاج تذكيرا، إلّا أنّنا نشاهد ضعف

المجتمع وافتقاره لأدنى صفات الإسلام، ما دفع بالمغرفت للإشارة إلى هذه القضايا محاولًا توعيّة المجتمع ليتشبّع بقيم الدّين الإسلامي وثوابته.

كما لاحظنا اِنتشارًا معتبرًا لبعض الكتابات التي تطرّقت إلى ظاهرة "التّزيّن" مثل عبارة "**تلقيط الحواجب لعن الله النّامصة والمتنمصة اتقي الله**"، فقد اِنتشرت ظاهرة النّمص بين الفتيات والقاصرات بشكل خاص، وعليه جاءت هذه الجداريّة لتوقظ النّفس من غفلتها وتحذّرها من حرام قد تقترفه، فمنهنّ من غيّبن هذا الحكم وتجاهلن عواقبه، دون أيّ اِعتبار للحلال والحرام، وفي السّياق ذاته جاءت هذه الكتابة: "**الذي يحب الله يرى كلّ شيء جميلا أحمد الله**".

وكذلك نجد كتابات مثل "**كلّ واحد يلتها بهمو**"؛ في دعوةٍ إلى اِنشغال كلّ واحد بشؤونه الخاصّة وترك النّاس بهمومهم وأشغالهم وحياتهم، فمن شيم المسلم عدم التّدخّل في شؤون غيره، وذلك اقتداءً بكلام الحبيب المصطفى ﷺ في قوله: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

4.4 موضوع التّوعيّة المروريّة: كذلك نجد هذا النّوع من التّوجيه والتّوعيّة في الكتابات الجداريّة، خاصّة بعد التّعديلات التي طرأت على الكتاب المدرسي في الآونة الأخيرة والتي تميّزت بإدراج الثّقافة المروريّة في المناهج التّعليميّة فسعت هيئات خاصّة إلى اِستعمال الجدار لنشر عدد من الكتابات الإرشاديّة والرّسومات التّوضيحيّة في المجال المروري، لتوجيه التّلميذ وتثقيفه من هذا الجانب، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الكتابات منتشرة أكثر أمام المؤسّسات التّعليميّة والمدارس، نظرًا للاِكتظاظ الذي تشهده هذه الفضاءات وكثرة الحوادث فيها، نحو ما تبيّنه الصّور الآتيّة:

الصّورة رقم 01 **الصّورة رقم 02**

لا تجري ولا تلعب في الطّريق (Ur tazal ur turar g ubrid sexdem abrid iwulmen i tikli udar).

جاءت الصّورة الأولى مزدوجة اللّغة بين العربيّة الفصحى **(لا تجري ولا تلعب في الطّريق)** والأمازيغيّة **(Ur tazal ur turar g ubrid)**، وهذا الشّق الأمازيغي ما هو إلّا ترجمة مكافئة للشقّ العربي وبالتّرتيب ذاته، حيث أنّ أداة النّفي (Ur) تقابل (لا) في العربيّة، وكذلك الفعل (tazal) يقابل (تجري) و(turar) يقابل (تلعب)، والحرف (g) يقابل (في)، أمّا الكلمة (ubrid) تقابل (الطّريق)*، والأغلب أنّ هذه الجداريّة موجّهة إلى التّلميذ المتمدرس في المراحل التّعليميّة الأولى بشكلٍ خاصّ، وذلك بدليل اِستعمال كلمتي (الجري) و(اللعب) حيث توصيه بعدم اللعب في الطّريق مع عدم الجري فيه باستخدام حرف النّهي (لا) و(ur) بالأمازيغيّة.

في حين أنّ القارئ في الصّورة الثّانيّة مجهول أو عامّ، فترجمة العبارة **(sexdem abrid iwulmen i tikli udar)** كالآتي: **(اِستعمل الطّريق الملائم للراجلين)**، وقد تكون هذه الجملة عامّة في خطابها، موجّهة لكلّ قارئ أو مارٍّ من هذا الطّريق، إذ تحثّه على استعمال الرّصيف أو الطّريق الخاصّ بالرّاجلين. وفي السّياق ذاته تأتي الجداريات الآتيّة المبيّنة في الصّور أدناه:

لا تعبر الطّريق إلا حذرا من لا يحذر يلقى الخطر (stop accidents كفى حوادث (barka laksidat).

تتّفق الصّورتان في موضوعهما وإن اِختلفتا في قالبهما اللغوي، فقد جاءت الصّورة الثّالثة باللّغة العربيّة الفصحى **(لا تعبر الطّريق إلا حذرا من لا يحذر يلقى الخطر)**، بينما جاءت الصّورة الرّابعة متعدّدة اللغات بين الفرنسيّة (**stop accidents)** والعربيّة الفصحى **(كفى حوادث)** والأمازيغيّة (**barka laksidat)**، وفي هذا تنبيه إلى الأخذ بالاِحتياطات اللازمة أثناء اِستعمال الطّريق، خاصّة الطّريق الخاصّ بالسّيارات، أين يكون الاِجتياز صعبًا على الأطفال وصغار السّنّ عامّة، كلّ هذا سعيًا لنشر ثقافة الحذر لتفادي حوادث المرور والتّقليل من أخطارها.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ كلّ صورة أُرفِقت برسمة إلى جانب الكتابة فنجدها تخاطب حتى الشّخص الذي لا يعرف القراءة والكتابة، فيفهم من خلال تلك الرّسمة المرفقة، التي تعبّر عن المضمون الذي تتحدّث عنه العبارة، ففي الجداريّة الثّالثة مثلًا، نلاحظ شخصًا كبيرًا يمسك بيد شخص صغير يساعده على المرور أمام السّيارة، فالصّورة –على الأغلب –تجسّد حالة أب (والدّ) مع اِبنه، يعلّمه كيفيّة اِجتياز الطّريق بأمان، وتحتوي الجداريّة الرّابعة على رسمة مجسّدة لحادث مرور أُصيب فيه شخص ربّما لأنّه لم يكن حذرًا عند قطعه للطريق.

5.4 موضوع التّوعيّة الذّاتيّة (الشّخصيّة): تندرج ضمن هذا الصّنف كتابات عدّة، أهمّ ما يميّزها اِستعمال الألوان خاصّة اللون الأسود، نظرا لقدرته على الجذب ولفت الانتباه على نحو: "**الشّارع لا يرحم**"، "**عيش راجل صديقي**" غرضها تقديم النّصح للقارئ وتوجيهه إلى كيفيّة التّعامل سواء مع نفسه أم مع غيره ومع كلّ ما يحيط به، فإن لم تكن ذئبا أكلتك الذّئاب على حدّ تعبير أحد المغرفتين "**كن ذئبا حتى لا تأكلك الذّئاب**" في إشارة إلى طبيعة بعض البشر مع ضرورة أخذ الحيطة والحذر منهم.

6.4 موضوع التّوعيّة التّعليميّة: نجد اللوحة الفنيّة المعروضة في هذا الصّدد على أحد جدران مدرسة ابتدائيّة في قريّة نائيّة، جاءت بلغة أمازيغيّة مكتوبة بخطّ لاتيني **(Tamusni)**؛ بمعنى "**العلم**" أو "**المعرفة**"، طغت عليها الألوان، ومدوّنة على راية باخرة في البحر، كدلالة على أنّ العلم سبيل النّجاح مثلما تبيّنه الصّورة الآتيّة:

وكذلك نجد العبارة المكتوبة باللّغة العربيّة الفصحى: "**بالعلم تجذب العقول وبالأخلاق تجذب القلوب**"، والجداريّة المزدوجة اللّغة بين الفرنسيّة والأمازيغيّة: **(l'école c'est le pilier de l'État Aɣerbaz d ajgu n tmurt)** وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الشّقّ الأمازيغي ما هو إلّا ترجمة للشقّ الفرنسي وعليه فترجمة العبارة إلى العربيّة هي: "المدرسة عمود الدّولة" مثل ما توضّحه الصّورتان التّاليتان:

بناءً على ما سبق تبيّن لنا أنّ الكتابة على الجدران ليست فعلًا عشوائيًا، أو مجرّد خربشة لا طائل منها غير تخريب الفضاءات وتشويهها، إنّما هي فعلٌ واعٍ مقصود، يتمّ اِنتقاء موضوعه وفضائه بعناية وجمهوره، وما هذه الجداريات الأخيرة إلّا دليل على قمّة الوعي الذي تعكسه الكتابات، والذي تسعى إلى تثبيته في أذهان المواطنين ونشره بينهم، وذلك باستعمال مختلف اللغات المتاحة في رصيد المتكلّم الجزائري اللغوي، سواء باستعمال الأحاديّة اللغويّة في كثير من الخطابات، أم بالمزج بين اللغات في أحيان أخرى.

4. خاتمة: من خلال ما تمّ عرضه سابقًا نستنتج أنّ الكتابات الجداريّة ظاهرة لغويّة اِجتماعيّة تمتدّ لأبعاد عديدة، ووسيلة اِتّصال جماهيريّة غير رسميّة، يتّخذها الشّباب ملجأ لهم للتعبير عن مختلف القضايا التي يعاني منها الفرد والمجتمع على حدّ سواء.

تؤثّر الجدران على القيم الاِجتماعيّة في المجتمع، إذ تتدخّل في قضايا التّربيّة والتّنشئة الاِجتماعيّة للأفراد، وفي تكوين ثقافة المجتمع، كما تسهم في توجيه رأيه وتوعيته ناحيّة العديد من القضايا التي تصبّ في عمق المجتمع كالجانب السّياسي، الدّيني، الأخلاقي، البيئي، المروري وغيرها.

تخدم الممارسة الغرافيتيّة المجتمع من عدّة جوانب باعتبارها تؤدّي وظيفة المُخبِر، كما تسهم في تسريع انتشار المفاهيم الاِجتماعيّة، السّياسيّة، الثّقافيّة وغيرها، كالحملات الإعلانيّة والإعلاميّة التي رصدناها على الجدران خاصّة

في فترة الحراك، التي أسهمت بدورها في بلورة الرّأي العام، وتوحيد صفوف الجماهير على فكرة الرّأي الواحد، بسبب الإِنتشار الهائل للكتابات السّياسيّة.

كذلك تلفت هذه الظّاهرة الإِنتباه إلى القضايا الأساسيّة المطروحة في المجتمع، وتثقّف الفرد فيها كالجانب البيئي والأخلاقي، حيث تنمّي شعور الإِنتماء لديه وتحسّسه بضرورة المحافظة على الفضاءات وإِحترام قواعد النّظافة العامّة وغيرها، وذلك عن طريق إمداده بمجموعة من المعلومات الثّقافيّة والتّوجيهات التي تأتي –غالبًا–في شكل صيغ التّحذير والنّهي والمنع...

5. قائمة المراجع:

- Arav Benyounés, dictionnaire trilingue de la langue tamazight le petit taralsan illustré, les éditions entre-parenthéses et BYEditions
- Bureau Des Etudes Et Recherches, Le Dictionnaire Français-Arabe, Dictionnaire Générale Linguistique Technique Et Scientifique, 2éme Edition, Beyrouth, Liban, Dar Al-Kotob Al-Lilmiyah, 2004, P399.
- Ernest Pignon Ernest, Le Street Art Ou Art Urbain, Arts Visuels, 18/11/15, P02.
- Fatma Ousedik, Raconte-Moi Ta Ville, Essai Sur L'appropriation Culturelle De La Ville d'Alger, Coauteurs: Rachid Sidi Boumediene/ Bahdja Amrouni/ Kahena Ouchalal/ Karima Magtef, Alger, ENAG Editions, 2008, P115.
- Karim Ouras, Les Graffiti De La Ville D'Alger Carrefour De Langues, De Signes Et De Discours _Les Murs Parlent…_, Insaniyat, N°S 44-45, Avril - Septembre 2009, P 159.

–باسم العتوم، محمّد أبنيان، الكتابات والرّسومات الجداريّة في مجتمع جامعي _دراسة ثقافيّة اجتماعيّة للظاهرة في جامعة العلوم والتّكنولوجيا الأردنيّة_، أبحاث اليرموك سلسة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، 2009، ص599.

–بوعلام باي، ملامح المُمارسة الغرافيتيّة بالمجتمع الجزائري _ محاولة تأريخيّة_ مجلّة الحوار الثّقافي، مجلّد 1، عدد1، 2012، ص192.

–محمد بن عميرة، لطيفة بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السّياسيّة من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك، ط1، الجزائر، دار الفاروق للنشر والتّوزيع، 2015 ص27.

–نورة عامر، الكتابات الجداريّة في الجزائر ما بين تراث الماضي وارهاصات الحاضر ص85.

–نورة عامر، الكتابات الجداريّة في الجزائر ما بين تراث الماضي وإرهاصات الحاضر مجلّة الدّراسات والبحوث الإجتماعيّة، المجلّد 8، العدد 1، مارس 2020، ص84.

6-الهوامش:

[1]-محمد بن عميرة، لطيفة بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السّياسيّة من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك، ط1، الجزائر، دار الفاروق للنشر والتّوزيع 2015 ص27.

2-Bureau Des Etudes Et Recherches, Le Dictionnaire Français- Arabe Dictionnaire Générale Linguistique Technique Et Scientifique, 2éme Edition, Beyrouth, Liban, Dar Al-Kotob Al-Lilmiyah, 2004, P399.

3 -Ernest Pignon Ernest, Le Street Art Ou Art Urbain, Arts Visuels 18/11/15, P02.

[4]- نورة عامر، الكتابات الجداريّة في الجزائر ما بين تراث الماضي وإرهاصات الحاضر مجلّة الدّراسات والبحوث الإجتماعيّة، المجلّد 8، العدد 1، مارس 2020، ص84.

[5]-باسم العتوم، محمّد أبنيان، الكتابات والرّسومات الجداريّة في مجتمع جامعي _دراسة ثقافيّة اجتماعيّة للظاهرة في جامعة العلوم والتّكنولوجيا الأردنيّة_، أبحاث اليرموك سلسة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، 2009، ص599.

[6]-نورة عامر، الكتابات الجداريّة في الجزائر ما بين تراث الماضي وارهاصات الحاضر ص85.

7 -Fatma Ousedik, Raconte-Moi Ta Ville, Essai Sur L'appropriation Culturelle De La Ville d'Alger, Coauteurs: Rachid Sidi Boumediene/ Bahdja Amrouni/ Kahena Ouchalal/ Karima Magtef, Alger, ENAG Editions, 2008, P115.

[8]- بوعلام باي، ملامح المُمارسة الغرافيتيّة بالمجتمع الجزائري _ محاولة تأريخيّة_ مجلّة الحوار الثّقافي، مجلّد 1، عدد1، 2012، ص192.

9 -Karim Ouras, Les Graffiti De La Ville D'Alger Carrefour De Langues, De Signes Et De Discours _Les Murs Parlent…_, Insaniyat N°S 44-45, Avril - Septembre 2009, P 159.

*الحراك: حركة ثوريّة شعبيّة سلميّة، اندلعت يوم 22 فيفري 2019، يطمح من خلالها الشّعب إلى بناء جمهوريّة ديموقراطيّة خاضعة لإرادة الشّعب، من مطالبها رفض ترشُّح الرّئيس السّابق عبد الغزيز بوتفليقة لعهدة خامسة.

*– لمزيد من التّفاصيل حول ترجمة الكلمات الأمازيغيّة، يُنظر:

Arav Benyounés, dictionnaire trilingue de la langue tamazight le petit taralsan illustré, les éditions entre-parenthéses et BYEditions.